أهمية الأفلمة الروائية العربية المعاصرة وجمالياتها

The importance and aesthetics of contemporary Arab fiction films

أحمد الزاوي[1]*،

[1] جامعة وهران1 –أحمد بن بلة–، الجزائر، ahmed31zaoui@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/11	تاريخ القبول: 2021/11/01	تاريخ النشر: 2021/12/17

ملخص:

ترتبط الرواية العربية بالمجتمع ارتباطا وثيقا؛ فهي تنهل من أحداثه ووقائعه المختلفة لتحولها إلى خيال أدبي، لكن كاتبها يحرص على مواضيع معينة قد تتعلق بفرد أو بجماعة، وتكون اجتماعية أو سياسية أو دينية أو غير ذلك. ويسلط عليها أضواءه. وهدفه في الأخير أن يؤيد أفكارا أو نظاما أو ينقد ذلك، كما إنه قد يشخص ظاهرة ما تتعلق بالمجتمع أو بالتاريخ أو غير ذلك، ويجعل شخصياته تؤدي هذا الحدث بامتياز.

وكل هذا يجعل المخرجين والسينمائيين يهتمون بروايات معينة؛ فيحولونها إلى أفلام أو مسلسلات، وهذا بعد أن يقوموا ببعض التعديلات التي يتطلبها العرض السينمائي، ولذلك أهمية كبرى في علاج مشكلات المجتمع والتأريخ للأحداث ونقد الأنظمة من خلال الأفلام السينمائية.

الكلمات المفتاحية: أفلمة، الرواية، السينمائية، المخرج

Abstract:

The Arabic novel is closely related to society; It draws on its various events and facts to turn it into a literary imagination, but its writer is keen on certain topics that may relate to an individual or a group, and be social, political, religious or otherwise. It lights up. In the end, his goal is to support or criticize ideas or a system, and he may diagnose a phenomenon related to society, history, or otherwise, and make his characters perform this event with distinction.

All this makes directors and filmmakers interested in certain novels; They turn them into films or series, and this is after they make some modifications required by the cinematic show, and this is of great importance in treating society's problems, chronicling events and criticizing regimes through cinematic films.

Key words: Films, novels, cinematography, director

* **المؤلف المرسل:** أحمد الزاوي، ahmed31zaoui@hotmail.com

توطئة:

لا شك إن الأدب فن عريق بامتياز، وغالبا ما يعبر الكاتب من خلاله عن نفسه وعن مجتمعه وهمومه. لذلك تعددت فنونه وتنوعت مواضيعه من شعر ورواية وقصة ومسرحية وتبقى العلاقة بين هذه الفنون الأدبية متينة، ويكمل بعضها بعضا؛ فقد أصبحت الرواية الفن الأرحب الذي يحتوي الشعر وفنون القصة القصيرة وبعض الفنون المسرحية.

ولما كانت الرواية تعكس ما يحدث في الواقع–غالبا– كان لزاما أن تمثل عيانا، والقصة لا تكتمل أحيانا ولا تتضح معالمها ومقاصدها إلا إذا تحولت إلى فلم أو مسلسل أو حلقات سينمائية؛ حيث يتضح أكثر ويتعدد جمهورها، وتتضح أفكارها التي يريد الروائي الدفاع عنها أو دحضها.

والإشكالية التي تطرح نفسها وبإلحاح شديد في هذه المقالة الأدبية: كيف تؤثر أفلمة الرواية على نصها الأصلي؟ وكيف تتقلص وظائفها بعد التمثيل السينمائي؟ وهل تكتسب وظائف فنية جديدة بعد ما تمثل عبر الشاشات المرئية؟

مفهوم الأفلمة:

اتفقت جل التعريفات حول هذا المدلول، ولم تختلف إلا من حيث الصياغة اللغوية. وقد بشر بهذه الظاهرة الفنية الكثير من مفكري الغرب منذ القديم. ويقول **آبيل غانس** " لقد أتى زمن الصورة... إن كل الخرافات والأساطير... وكل الانعكاسات الموضوعية لمخيلات الشعوب، منذ ألوف السنين تنتظر البعث الضوئي أما الأبطال فإنهم يترنحون على أبوابنا أملا في الدخول..." (هنري، 1980، صفحة 29)

ويفهم من هذا الكلام إن الفيلم السينما كان علم المفكرين منذ القديم؛ أي إن الإنسان لم يكتف بالخيال والأساطير والقصص بل رغب في رؤية الأبطال والمغامرات عيانا؛ وفرق بين ما نتصوره وما نراه؛ فالواقع المرئي أبلغ من الخيال. فما قاله آبيل غانس هو رؤية فكرية وأمل في تغيير الخيال إلى صور مرئية.

ويرى **كانودو** أن أبواب تجسيد الخيال قد كانت ضيقة ومجرد نوافذ صغيرة قبل ظهور السينما وكان دائما يرى أن صانع السينما والأفلمة عليه أن يحول الواقع ليجعله على صورة حلمه الداخلي عليه أن يتلاعب بالأضواء التي يتم التقاطها في سبيل استثارة حالات روحانية داخلية وليس تصوير وقائع خارجية (هنري، 1980، الصفحات 11-12)

ويفهم من هذا القول بأن العلاقة بين الواقع والأفلمة متينة؛ بحيث إن الواقع يغدو جزءا مصغرا ومختصرا يرسمه الفيلم السينمائي، وغايته هي أن يسلط الأضواء على ظاهرة اجتماعية معينة غالبا. وقد يكون يعبر عن أشياء خيالية وهمية حسب الرواية المكتوبة.

ولقد كان القرن العشرين بداية ظهور الكثير من الأفلام المستوحاة من النصوص الأدبية والروائية؛ لأن الأدب والتمثيل السينمائي متلازمان من حيث التطور والازدهار. فكلما ارتقى الأدب وتعددت مواضيعه، وخدم المجتمع كلما ازدهرت معه السينما وتنوعت الأفلام التي لها جمهور متعطش، وينتظر بشغف كبير جديد التلفزيون والسينما، لأنه يجد فيها ضالته؛ حيث تسعى لعلاج مشاكل المجتمع وتشخيص آفاته.

ويذكر محمود قاسم أن أول فلم عربي كان سنة 1954 مأخوذا عن رواية " آثار على الرمال " لصاحبها يوسف السباعي؛ وذلك بعد مرور ربع قرن على صناعة السينما المصرية (قاسم، صفحة 09)

ويبدو أن الكثير من الروايات العربية الكثيرة كتبت منذ الثلاثينات والأربعينات؛ لكنها لم تترجم إلى أفلام إلا في السنوات اللاحقة؛ وذلك لغياب السينما في البلاد العربية.

وأهم الروايات التي تم تحويلها إلى كثيرة، ونذكر منها بعض أعمال طه حسين ويحي حقي ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وغير هؤلاء كثير.

ولعل أول رواية عربية هي رواية زينب كما يتفق على هذا جل النقاد والأدباء، وقد حولت إلى فلمين، وشرحت المجتمع المصري، وشخصت بعض آفاته وعاداته الاجتماعية؛ والأمر لا يخص مصر وحدها، بل البلاد العربية قاطبة؛ لأنها تعالج موضوعا اجتماعيا هو مشكلة الزواج في الريف وموقف الأسرة منه، وقضية الدراسة وغير ذلك. فهذه الرواية تصلح لكي تكون أفلاما؛ لأن الشعوب العربية آنذاك كانت متعطشة للأفلام التي تتحدث عن حياتها ومجتمعها ومشاكلهم المتعددة.

ولا يمكن أن تكون كل الروايات صالحة للأفلمة والتمثيل السينمائي، ما لم تكن تتحدث عن فاجعة شعب أو تناول مشكلة فرد من المجتمع أو موضوع عاطفي أو سياسي أو غير ذلك مثل رواية " موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح و " أول رصاصة في القلب " لتوفيق الحكيم و "الحب لا يموت" لإبراهيم المصري.

ولا شك إن هذه الروايات تمثل الحياة الاجتماعية العربية بامتياز في فترة ما، كما إنها تصور الواقع العربي بكل تناقضاته ومستجداته، والأفلمة هي التي تختار هذا النوع من القصص لتعرضها في شكل أفلام، وقد تؤدي وظيفتها أحسن من الكتابة.

والسينما والتلفزة تمثلان الوجه الآخر للعمل الأدبي خصوصا فن الرواية؛ حيث أصبح هذا العمل الأدبي والفني الرحب أقدر على تمثيل المجتمع من جميع جوانبه ومجالاته الاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية عبر الحدث الذي يوظف الشخصيات السردية التي تقوم بأدوارها وتؤديها أحسن أداء.

فالرواية ليست متاحة لجميع الأفراد لقراءتها والتمعن فيها والاستفادة مما تنقله من أحداث متسارعة ومتعددة ومختلفة في الوقت نفسه؛ إذ أصبحت السينما والتلفزة في القرن العشرين تمثل القناة التي تنقل الحدث من حالة الكتابة والإبداع إلى ثانية تمكن الجمهور من متابعة ومشاهدة تلك الأحداث من خلال الأفلام والمسلسلات ولو أضيف إليها الخيال وأمور أخرى تتعلق بالإخراج مثل الحذف والزيادة.

فالرواية لها دور كبير في التعبير عن تعدد الأصوات الاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية، وتحاول في كل مرة نقل الواقع وتصويره، وتعبر عن صراع تلك الأصوات الاجتماعية، وتعرض عبر الشاشات والصور لترصد الواقع بطريقة أوضح وأجمل وتقرب الفهم أكثر للجمهور. ويبرز ملمح التعدد الصوتي من خلال ظهور أصوات أخرى في الخطاب الروائي غير صوت الراوي الأساسي، وغير شخصية المؤلف؛ قد يكون من خلال رواة آخرين أو من خلال أصوات الشخصيات السردية (حليفي، 2010، صفحة 28)

والمطلع على السينما العربية، يجد إن أغلب أفلامها ومسلسلاتها مستوحاة من الروايات الحديثة، إن لم نقل صور مطابقة لها تماما خصوصا على مستوى الأحداث والشخصيات إلا من خلال الحذف والزيادة.

العناوين بين الروايات والأفلام:

لا شك إن عناوين الروايات هو ملخص تلك القصص التي تدور حولها، ولا يستقر اختيارها من لدن الكاتب إلا بعد جهد جهيد، لأن العنوان هو عتبة النص القصصي، وهو أول باب يلجه القارئ لفهم النص؛ لأن النص الروائي غالبا ما يكون مغلقا يحتاج لقراءات متكررة، كما يجب ربطه بالثقافة العالمية وبالمجتمع الذي يعيش فيه المؤلف، وعلاقته بالمستجدات والظروف والملابسات التي تحيط بالمؤلف وبمجتمعه.

والجدير بالملاحظة والتنويه إن أغلب الروايات والقصص التي تحولت إلى أفلام قد غيرت عناوينها وحورت. وأغلب الظن إن العنوان الأصلي الذي يختاره الكاتب بعناية يمثل ويلخص الرواية، وهو بنية مهمة منها.

ويبدو إن هيئة الإخراج غالبا ما تبدل وتغير العناوين أثناء الأفلمة والعرض؛ وقد يكون سبب ذلك هو اختيار عناوين ذات طابع تجاري؛ لأن الجمهور يختار مشاهدة الأفلام التي تشد تلابيبه، وتوهمه بأنها تعرض مشكلته الخاصة وتساعده في البحث عن ضالته.

كما إن الأفلام تتخذ عناوين تميل إلى الدراما أحيانا وإلى الرومنسية والحب أو تتناول التاريخ أحيانا أخرى، فهي تتناول قضايا إنسانية حساسة.

وقد كان الكتاب في خمسينات القرن الماضي لا يكتبون القصص اعتباطا؛ بل يسعون من وراء كتاباتهم تصوير قصص اجتماعية وإنسانية تناسب السينما والعرض التلفزي على مستوى الشخصيات والحدث والحبكة واللغة والأمكنة وغير ذلك. وهدفهم في الأخير هو تشخيص مشاكل المجتمع ومحاولة علاجها وتقريبها من المشاهد العربي؛ رغم قلة وسائل العرض من سينما وأجهزة المشاهدة آنذاك.

ومن أمثلة ما ذكرنا على سبيل التمثيل نجد قصة (حياة الظلام) لمحمود كامل، و(رابحة) لمحمود تيمور، و(أيام شبابي) لصالح جودت الشاعر، فهذه الروايات قد تم تغيير عناوينها أثناء تحويلها إلى أفلام وعرضها في السينما دون سبب ظاهر؛ رغم جاذبية هذه العناوين التي ذكرنا، ورغم أهميتها وقيمتها الاجتماعية.

فلو تأملنا مثلا فلم (أخلاق للبيع) الذي أخذ من رواية (أرض النفاق) ليوسف السباعي؛ لوجدنا عنوان الرواية أعم وأشمل وأصدق تعبيرا عن المعنى. لكن عنوان الفلم أنسب وأقدر على شد المتلقي؛ لأن المشاهد لهذا الفلم سوف يبحث عن تلك الأخلاق ويركز المشاهدة ويتأمل الشخصيات ويستنتج مغزى الفلم المعروض في مدة لا تتجاوز ساعتين، بخلاف الرواية التي تدعو إلى إمعان القراءة وشدة التأمل، وقد تمتد قراءته لها عدة أيام، فضلا عن اعتماده على التخيل لا المشاهدة، والتعرف عن الشخصيات عن طريق الوصف دون الرؤية المباشرة كما في الفلم.

ومهما يكن؛ " فالرواية هي أشبه ما تكون بمنظار يضعنا خلفه الروائي لنرى بوضوح ما هو غامض التفاصيل أو بعيد عن مرمى نظرنا" (علام، 2012، صفحة 19)

ومما يزيد في تقوية الرؤيا، ويشرح التفاصيل هو عرض الرواية في فيلم سينمائي؛ لأن المخرج يتصرف في الرواية فيحذف بعض المشاهد و يضيف أشياء وجزئيات إليها، ويعدل حتى يكتمل العمل السينمائي، ويصبح صالحا للعرض.

ويرى محمود قاسم أن فترة الستينات قد شهدت ازدهارا ملحوظا من حيث عدد الأفلام المقتبسة من الأدب المصري خصوصا، ففي هذه الفترة تم تحويل أربعا وسبعين نصا أدبيا إلى واحد وثمانين فلما. ومن أمثلة ذلك نذكر كل من طه حسين؛ حيث حولت روايته الشهيرة **"دعاء الكروان"** إلى عمل سينمائي ناجح. كما نذكر كلا من محمود السباعي ومحمد عبد الحليم وفتحي غانم وفوزية مهران (قاسم، الصفحات 12-13)

ويبدو إن الانتاج كان غزير، ومزاوجة الأدب بالسينما قد حقق نجاحا باهرا، واستطاع الكثير من الكتاب أن يمدوا السينما العربية والعالمية بنصوص وقصص كثيرة كانت تعرض على الجماهير المتعطشة للأفلام والعروض السينمائية المختلفة.

أما مرحلة السبعينات، فتطور الأمر كثيرا؛ حيث انشغل الأدباء بكتابة السيناريوهات وتخصصوا أكثر في هذا النوع من الكتابة؛ لأنهم وجدوا الإقبال عليها متزايدا، من حيث القراءة والمشاهدة عبر التلفزة والسينما. ولا شك أنها كانت قصصا مأخوذة من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الفرد العربي؛ حيث كانت كل الدول العربية قد استقلت وبدأت في مرحلة البناء والتشييد.

وهناك سبب آخر مكن المصريين من النجاح، هو دار الأوبرا ودور السينما، ودور النشر والمطابع التي شيدها نابليون بونابرت آنذاك. فبتوفر هذه الأسباب وتحقيق الاستقلال، انطلق الشباب الكتاب في كتابة النصوص والقصص، وتنافسوا في تحقيق النجاح، وتسابقوا في عروض الأفلام والسينما، وحققوا مبتغياتهم. ونذكر من هؤلاء كلا من عبد الرحمان الشرقاوي الذي كتب "السراب" و"الأرض" ونجيب محفوظ الذي كتب " ثرثرة فوق النيل" كما كتب يوسف إدريس "قاع المدينة" و" النداهة".

وكانت مرحلة الثمانينات قد ازدادت وتيرة الكتابة وازدادت كتابة السيناريوهات التي تنوعت بتنوع المجتمع وكثرة مشاكله، ومن الذين مثلوا هذه المرحلة نجيب محفوظ؛ حيث حولت أعماله إلى أفلام سينمائية ومنها: "الحرافيش" و"أولاد حارتنا" و"الشيطان يعظ"؛ حيث اقتبس من هذه الروايات الكثير من الأفلام.

ومن كتاب هذه المرحلة نجد كلا من سكينة فؤاد وإقبال بركة، ويحي الطاهر وخيرى شلبي، وجمال الغيطاني، ويوسف القعيد. ولا شك إن الكتابات في هذه المرحلة بالذات كانت من أجل التمثيل السينمائي والعرض التلفزي، ولم تكن موجهة للقراءة بالدرجة الأولى؛ حيث كان هذا الجيل من الكتاب يجري خلف السينما والشهرة.

الفنون الأدبية الأخرى والسينما:

الرواية:

لقد كانت النصوص الروائية في البداية هي التي يقتبس منها أفلاما سينمائية، ونجح الكثير من الكتاب، كما نجح الكثير من المخرجين في اختيار القصص الطويلة وتحويلها إلى أفلام وفي فترة (1957-1968) استثمر صلاح أبو سيف بعض روايات إحسان عبد القدوس وحاول تحويلها إلى عمل سينمائي يشاهده المتفرجون عبر التلفزيون أو السينما ومن أمثلة ذلك "الوسادة الخالية" و"لا أنام" و" الطريق المسدود" ثم "أنا حرة" و"لا تنطفئ الشمس" (قاسم، صفحة 51)

وأغلب هذه الأفلام تعالج مشكلة الحب، وتبرز كيف أن المرأة العربية في مصر والمشرق قد انفتحت على المجتمع وأقامت علاقات كثيرة مع الرجال ويبين كيف وجدت حريتها حيث خرجت للعمل وأقامت علاقات حب كثيرة قد تنتهي بالزواج وقد تفشل.

وكانت مواضيع هذه الروايات أو الأفلام اجتماعية وتعالج بعض مشاكله المتراكمة مثل موضوع الزواج والطلاق والحب واليتم والتشرد في الشوارع والفقر وطلب العلم وخداع كما تركز على المرأة والحب والطمع في الميراث وغير ذلك.

ومن أمثلة ذلك نذكر ارتباط بعض شخصيات هذه القصص أو الأفلام باستقلال الدول العربية من الاستعمار؛ فقد ارتبطت نساء عديدات في أدب إحسان، والسينما المأخوذة عنه، بحركات التحرر الوطني العربي، مثلما هو في فيلم "في بيتنا رجل" وهو عمل سينمائي يصور حياة فتاة مصرية فقيرة، من أسرة محافظة لكنها تعيش على هامش المجتمع، وتجد هذه الأسرة نفسها ومشاعرها من خلال موقف مفاجئ وتغير حياتها بأكملها، فالفلم يصور مأساتها الاجتماعية التي أثرت في المشاهدين غاية التأثير (قاسم، صفحة 56)

والجمهور العربي والمصري متعطش لمثل هذه القصص؛ لأنها تصور مأساة كل رجل وكل امرأة؛ لأن المشاكل الاجتماعية متراكمة وكثيرة؛ فالاستعمار الانجليزي والفرنسي خلف مشاكل كثيرة، انعكست على الفرد والأسرة، فعبر عنها الكتاب والأدباء والروائيون خصوصا، ولما تحولت إلى أفلام استطاع كل فرد عربي أن يشاهدها ويجد فيها متنفسا لمشاكله الاجتماعية المتعددة.

وغالبا ما كانت تلك النصوص المحولة إلى أفلام تتكرر في السينما العالمية، فكذلك الأفلام العربية التي تكرر بعضها وأن كان قليلا. ومن أشهرها: زينب، وأرض النفاق، وبين الأطلال، واللص والكلاب، والطريق

وتجدر الإشارة إلى بعض الروايات الجزائرية التي حولت إلى أفلام مثل الفيلم الجزائري " مغامرات بطل " لمرزاق بقطاش، وفاز بجائزة الطانيت الذهبي، وهي أعلى جائزة يقدمها مهرجان " أيام قرطاج السينمائية" السابع الذي أقيم بتونس سنة 1978 في ذلك الوقت؛ زمن النظام الاشتراكي (العريس، 1979، صفحة 7).

الأقصوصة:

لقد كان فن الأقصوصة حاضرا في السينما العربية، حيث استثمر الكثير منها في الأفلمة والإخراج السينمائي، وغالبا ما كانت الأقصوصة ذات الحجم الضئيل مقارنة بالرواية والقصة القصيرة. ومن هنا نلاحظ، إن السينما اتجهت في البداية إلى الرواية، ثم القصة القصيرة، وأخيرا إلى المسرحية في المشرق العربي خصوصا.

وغالبا ما تحتوي هذه الأشكال الروائية على مجموعة من الأصوات تتصارع في حلبة الرواية؛ فأحيانا يكون صراع الخير مع الشر، أو صراع الحق مع الشيطان، أو صراع العقل مع الهوى كما في القصص الغرامية.

ومن أمثلة الأقصوصة التي تحولت إلى أفلام نذكر على السبيل التمثيل، "إمبراطورية ميم" لحسين كمال، وقصة " البنات والصيف" لصلاح أبو سيف، وقصة " ثلاث لصوص" واشترك في كتابتها كل من فطين عبد الوهاب وحسن الإمام، وصلاح أبو سيف.

القصة القصيرة:

لا شك أن الكثير من الكتاب العرب جربوا كتابة القصة القصيرة والمسرحية والرواية وغيرها من الفنون، ورغبوا أن تمثل وأن تحول إلى أفلام. ولا شك، إن السينما قد احتوت هذه الأشكال الأدبية " ومن هذا الملمح التاريخي نلاحظ أن السينما اتجهت في المقام الأول إلى الرواية، ثم القصة القصيرة، والمسرحية.

ونجد الكثير من القصص القصيرة تتحول إلى أفلام أو سيناريوهات سينمائية؛ وفي هذا الشكل الأدبي كتب الكثير من الأدباء العرب منهم إحسان عبد القدوس وتوفيق الحكيم، والطاهر وطار وغيرهم.

ولم تخرج مواضيع القصة القصيرة العربية عن موضوع الاحتلال والاستعمار وعن بعض المواضيع السياسية المتعلقة بالوطن أما المواضيع الاجتماعية فكثيرة نذكر منها الخيانة الزوجية والطلاق والزواج والثأر والحب والغرام. ومواضيع رومنسية أحيانا تكون نهايتها سعيدة وأحيانا مأساوية كقتل البطل أو هجرة بعض الشخصيات دون رجعة أو الانتقام أو الفوز بمنصب سياسي رفيع وما ينجم عنه من التكبر والتعالي والتنكر للمبادئ والقيم.

تعدد الأصوات في الرواية والفلم السينمائي:

الرواية حلبة اجتماعية كبيرة، تتصارع فيها مختلف الثقافات والفلسفات والأفكار، وهي فضاء رحب لمجموعة من الأصوات المختلفة. وقد يعبر كل صوت عن فئة اجتماعية ما وقد نجد هذا في القصة القصيرة والمسرحية أيضا.

وغالبا ما يسعى السارد في الخطاب الروائي لنشر فكرة ما، وحث القارئ لتقبل تلك الفكرة والاقتناع بها؛ ولذلك يسعى المؤلف بكل الطرق لجعل خطابه حجاجيا بالدرجة الأولى وهدفه دائما هو التأثير في متلقي النص من خلال دعوته إلى فكرة ما أو دحض ومحاربة فكرة أخرى بالأدلة المختلفة.

ويشير ميخائيل باختين ويلح على تعدد الأصوات في الروايات؛ **"** فالمتكلم في الرواية هو دائما، وبدرجات مختلفة منتج ايديولوجيا، وكلماته هي دائما عينة ايديولوجية**"** (باختين، صفحة 33) فباختين؛ يتكلم عن موضوع الإنسان في الرواية الذي يتكلم لقد اعتمد الخطاب الروائي العربي المعاصر مثل سائر الخطابات الروائية العربية والأجنبية على الكثير من الأصوات المختلفة ومن هذه الأصوات، صوت المرأة التي تدعو للتحرر، وصوت الصوفي الذي إلى هذا المذهب الديني عبر الشخصيات الروائية، وصوت الشخصية

الفرونكوفونية التي تمجد الاستعمار وتؤمن بقيمه ومبادئه، وتحب اللغة الفرنسية وتدافع عنها، كما نجد في الروايات والقصص العربية صوت الشعب الذي يمجد الثورة الجزائرية و يمجد الشهداء والمجاهدين وكل الرموز الوطنية وقد نجد بعض هذه الأصوات في الخطاب الروائي الجزائري مثل روايات عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار ومحمد مفلاح و أحلام مستغانمي وغيرهم كثير؛ سواء من الذين حولت رواياتهم إلى أفلام سينمائية مثل رواية "ذاكرة الجسد " لأحلام مستغانمي. أم التي لم يلتفت إليها المخرجون لعرضها وتحويلها إلى أفلام.

ولما كانت الرواية ومازالت فضاء اجتماعيا، تنوعت فيه الايديولوجيات وتعددت فيه الفلسفات والأفكار والديانات والاعتقادات. ومهما تعددت مواضيع الرواية واختلفت أنواعها، فهي دائما تؤيد بعض الأفكار على حساب أخرى، فمثلا لو كانت رواية بوليسية أو اجتماعية أو تاريخية أو حتى رواية السيرة الذاتية، ففي هذه الأخيرة يسعى الروائي لبيان معتقده وفلسفته في الحياة ورأيه، وهو بهذا يرسل أصواتا عبر خطابه الروائي.

وظائف الروايات المحولة إلى أفلام سينمائية:

- تقريب العمل الأدبي من الجمهور وإيصال الأفكار بسهولة.
- علاج المشاكل الاجتماعية بشكل فني جميل مخالف للكتابة تماما.
- جذب أكبر عدد ممكن من المشاهدين وتشخيص المشكل المطروح.
- اختصار العمل الأدبي الذي يستغرق ساعات لقراءته وعرضه في وقت وجيز؛ حيث يختصر الزمان ويوفر الوقت.
- تمكين الأميين من متابعة القصة والتفاعل معها عندما تعرض في شكل فلم سينمائي جميل.
- تشويق المتفرج والمشاهد وتمكينه من متابعة العروض السينمائي والأفلام وتعلم قيم نبيلة.
- تعليم التاريخ الثوري للمشاهدين بطريقة فنية جميلة وأداء رائع.

أفلمة رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ:

قد تكون رواية " اللص والكلاب" لنجيب محفوظ النموذج الأرقى في الرواية العربية المؤفلمة؛ رغم إن السينما العربية اختارت قبلها أعمالا روائية أخرى للمؤلف مثل " أولاد حارتنا" ورواية " بداية ونهاية"، لكن " اللص والكلاب " هي رواية اختلفت عن سابقاتها التي مثلت، حيث كان هذا العمل الفني " قد أغرى مخرجي السينما، فهي لا تشبه "بداية ونهاية" ولكنها رواية فيها لصوص ورجال أمن ورصاص وخيانة ومبادئ، وكلهم حين اجتمعوا شكلوا الحجة الكبيرة التي كانت سبب أفلمتها" (مسعدي، 2014/2013، صفحة 248)

ولا شك إن هذا العمل الأدبي والفني قد فتن المؤلفين المهتمين بالروايات البوليسية العرب في العصر الحديث، فكانت مثل هذه الأعمال الفنية سرعان ما تحول إلى أفلام سينمائية أو مسلسلات يقبل على متابعتها مئات الآلاف من المتفرجين، ويجدون فيها ما يصبون إليه؛ وأغلب هذه الأفلام تعالج أوضاعا اجتماعية معينة وهي تحاول تغليب الخير على الشر.

وقد اندهش المتابعون والقراء لروايات نجيب محفوظ الذي كان يكتب عن أوضاع المجتمع المصري وآفاته ومخلفات الاستعمار، ويسلط الأضواء على الجوانب السياسية والفكرية وغيرها. وكان مرد الاندهاش أن القارئ العربي وجد نفسه أمام شكل جديد لم يتعود قراءته وهو الرواية البوليسية والسيناريوهات السينمائية، خصوصا وأن هذه الأشكال الفنية جديدة في العالم العربي.

وقد كانت كتابات نجيب محفوظ تنتمي لمرحلة اجتماعية واقعية، وهو يرى أن التقدم في العمر يكسبه رؤية وخبرة، فكان ينتقي الموضوعات التي تتفق ورؤيته الخاصة للواقع، ويرى أن الطبيعة البشرية تفرض التغير في كل شيء، ولاشك إن ثقافة نجيب محفوظ الواسعة واطلاعه على بعض الروايات والأعمال الفنية الغربية، ومتابعته للأفلام السينمائية جعله يفتتن بها ويكتب قصصا وسيناريوهات كثيرة تشبهها، وتنهج نهجها، والدليل على صحة هذا الطرح هو نجاحه؛ إذ مثلت أغلب كتاباته في السينما العربية ولقت نجاح باهرا، وأصبح هذا الكاتب ملهما للكثير من الكتاب الذين تأثروا به من حيث الكتابة الروائية المؤفلمة (الغيطاتي، 1980، صفحة 70).

ملخص رواية "اللص والكلاب": رواية "اللص والكلاب" مستوحاة من واقع عربي اجتماعي حقيقي، بطلها "محمود أمين سليمان" وهو مجرم ذاع صيته في سنة 1961 وشغل المصريين الذين تعاطفوا معه، وانتقم من محاميه وزوجته السابقة؛ لأنهم حرموه من ماله وطفلته، وخانوه وانتهكوا شرفه وهو سبب التعاطف معه (مسعدي، رسالة دكتوراه، أفلمة روايات نجيب محفوظ، اللص والكلاب، دراسة تطبيقية، صفحة 252) وتحدث عن شخصية "سعيد مهران" الذي خرج من السجن بعد قضاء أربع سنوات، ويتفاجأ بتغير كل شئ، حتى ابنته التي كبرت تتنكر له، فهي لا تعرفه، فيلجأ إلى صديقه رؤوف علوان الذي يطرده ولا يساعده ثم يلتقي بالمرأة البغي "نور" التي أحبته وشاركته في السرقة والاعتداء على ملك الغير، فتطارده الشرطة من مكان إلى آخر وتترقبه، وكانت نهايته الموت بعد مقاومة يائسة قر ب المقبرة.

فيلم اللص والكلاب:

البطاقة الفيلمية:

العنوان: اللص والكلاب

الانتاج: جمال الليثي

القصة: نجيب محفوظ

سيناريو: صبري عزت

الحوار: علي الزرقاني

الموسيقى: أندريه رايدر

مونتاج: سعيد الشيخ

تاريخ العرض: 12 نوفمبر 1962

مدة العرض: 124 دقيقة

تمثيل: شكري سرحان في دورسعيد مهران

شادية: في دور نور

كمال الشناوي: في دور رؤوف علوان

إخراج: كمال الشيخ

عنوان الرواية والفيلم: اللص والكلاب

العنوان:

يلخص محتوى الرواية ويلخص محتوى الفيلم السينمائي أيضا؛ فاللص (سعيد مهران) شخصية تمتاز بالسرقة والشر واستباحة أموال وأملاك الغير، مصاحبة الأشرار، والرغبة في القتل والانتقام. وظهرت هذه الصفات في الرواية والفيلم.

والكلمتان: (اللص) و(الكلاب) مفردتان متضادتان، فاللص عنوان السرقة والسطو والكلاب هم بعض الشخصيات الخائنة التي تداخلت حياتهم مع حياة سعيد مهران، ومنهم رؤوف علوان، وقد تعني هذه الأخيرة غير هذا.

الأماكن:

تختلف الأماكن وتتعدد في الرواية والفيلم معا ونذكر منها: مقهى طرزان، وبيت الطلبة، والسجن والمقبرة والشوارع والمسجد وغيرها كثير.

الزمان:

يختلف الزمن في الرواية عن الفيلم، ففي الرواية نجد الزمان طويلا جدا يتخلله القطع والاختصار والتكسر والعودة إلى الوراء (الاسترجاع) أو استشراف المستقبل (الاستباق).

أما في الفيلم فهو جد سريع ومختصر لكون الفيلم يعرض أحداث الشخصيات وهي تتحرك وتقوم بالحدث فلم تتعد مدة الفيلم 124 دقيقة رغم احتوائه على العناصر الزمنية المشار إليها من استباق واسترجاع وغيرهما.

اختلاف السرد بين الرواية والفيلم:

لا شك إن السرد الروائي يختلف اختلافا كليا بين الرواية والفيلم؛ ففي القصة المكتوبة، نجد السارد هو الذي يتحدث ويصف الوقائع والأحداث، ويصف الشخصيات ويهيئها للحوار ويقدمها للقيام بالحدث، ويوزع أدوارها.

أما السرد في الفيلم السينمائي؛ فيتمثل في سلوك الشخصيات وما تقوم به من أعمال وأدوار كثيرة اسندت إليها سلفا، ويختفي وصف الشخصيات والأماكن؛ لأن الصور تعبر عنه مباشرة، كما إن السارد لا يتكلم في الفيلم.

ومن خلال المثال التالي نلحظ ذلك، " مرة أخرى يتنفس نسمة الحرية، ولكن في الجو غبار خانق وحر لا يطاق، وفي انتظاره وجد بدلته الزرقاء وحذاءه المطاط، وسواهما لم يجد في انتظاره أحدا...".

ففي الرواية يتحدث السارد عن سعيد مهران ويصفه بهذه الأوصاف المادية، ويعبر عن الحدث الذي قام به، ولو تابعنا الفيلم لاكتفينا بالصورة التي تعبر عن سعيد مهران، ولباسه وحذائه وبرؤية المكان الذي يخلو من الناس، فلم يجد أحدا ينتظره، فالصورة أبلغ في الفيلم، ولذلك تركز عليها هيئة العرض والانتاج والسينما.

وما تجدر الإشارة إلى ذكره أن من يعبر ويخبر في الرواية هو السارد العليم، هذا الصوت المجهول الذي يعرف كل شيء في الرواية، ويعرف حتى ما يدور بخلد الأبطال، وما تريد القيام به، فالسارد ضروري في الرواية. اما الفيلم فنكتفي بالمتابعة والتركيز الجيد على الصور وطريقة العرض السينمائي.

الشخصيات: لا شك إن الشخصيات هي العنصر المحرك لأحداث الرواية، فهي التي تتفاعل وتقوم بالحدث الروائي، وقد تتغير أسماؤها في الفيلم من قبل المخرج، وقد يحافظ عليها إذا كانت لها دلالة تخدم الفيلم الروائي.

ونجد في هذه الرواية الكثير من الشخصيات التي حافظ المخرج على أسمائها، ومنها:

نور(المومس): فتاة، أحبت سعيد مهران، وتزوجته، وآوته، ورافقته في حياته وشاركته في السرقة والسطو والفرار من الشرطة. ونصحته كثيرا بالاستسلام لكنها فشلت.

نبوية: زوجة سعيد مهران الخائنة، وهي فتاة يتيمة، عملت لدى عجوز في عائلة أرستقراطية تركية، تعرف عليها سعيد مهران وهو يعمل ببيت الطلبة، وتزوجها وكافح من أجلها كثيرا.

علي جنيدي: وهو صديق والده، معتكف ببيت بالجبل، ويمارس طقوس الصوفية. اتجه إليه سعيد مهران، يلتمس منه المساعدة ومد المساعدة؛ لأنه أصبح فقيرا معدما لا يملك شيئا. وربما طلب منه أن يفتي له للقيام ببعض الأعمال غير المباحة ليسترزق بها.

رؤوف علوان: الصحفي، وهو صديق شبابه لسعيد مهران، أفتى له قديما بأن أموال الأغنياء حل له وللفقراء، اتجه إليه بعد خروجه من السجن فتنكر له وطرده، ولم يقدم له يد المساعدة التي طلبها منه.

عليش سدرة: شخصية صنعت الحدث الروائي، وأضفت عنصر التشويق والمتابعة في الفيلم؛ حيث كان صديقا لسعيد مهران، وبعد دخوله للسجن تزوج طليقته، واستولى على أملاكه وأمواله.

ونلحظ في الأخير أن الرواية هي المادة الخام للفيلم السينمائي، ولابد لهيئة الإخراج والعرض أن تقرأ بدقة القصة كما كتبها المؤلف، وتتفادى التغيير والتبديل والحذف إلا وفق ما يقتضيه العرض، خصوصا ما تعلق بالشخصيات الروائية؛ لأن الكاتب يختارها بدقة كبيرة، ولها دلالات كبيرة، سواء من ناحية أسمائها أو من ناحية صفاتها، فهي تضفي على العمل الفني وضوحا ودقة سواء كبيرين، وتسهم في فهم النص أو الفيلم السينمائي.

ولا يمكن إغفال صفات الشخصيات السردية، فلها دلالات عميقة على مستوى القصة؛ فغالبا ما تكون مفاتيح أولية لفهم القصة سواء في الرواية أو في الفيلم السينمائي.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم العريس. (1979). رحلة في السينما العربية. دار الفارابي، بيروت.
- أجيل هنري. (1980). علم جمال السينما. بيروت.
- جمال الغيطاتي. (1980). نجيب محفوظ يتذكر. دار السيرة، ط1 بيروت.
- شعيب حليفي. (2010). السرد والخكاية قراءة في الرواية المغربية. كلية الأدب بتمسيك دار البيضاء المغرب.
- طيب مسعدي. (2014/2013). أفلمة روايات نجيب محفوظ –اللص والكلاب– دراسة تطبيقية أطروحة لنيل الدكتوراه. جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون.
- طيب مسعدي. (بلا تاريخ). رسالة دكتوراه، أفلمة روايات نجيب محفوظ، اللص والكلاب، دراسة تطبيقية.
- عبير حسن علام. (2012). شعرية السرد وسيميائيته. دار للنشر والتوزيع، اللاذقية.
- ميخائيل باختين. (بلا تاريخ). الخطاب الروائي. تأليف تر محمد برادة.